خواطر وخلجات نفس

سهيلة زين العابدين حمّاد

خواطر وخلجات نفس

سهيلة زين العابدين حمّاد

إهداء

إلى روحي أمي وأبي رحمهما الله.

فهرس الموضوعات

إهداء 2

مقدمة..... 4

مدنية أنا 5

أبي ليتك كنت هذا اليوم معي..... 8

رسالة إلى أعز الحبايب أمي..... 12

يا قلم!!!..... 14

إذا أردت وأدي فئد فكري... وإذا أردت قتلي فاقتل كلماتي..... 18

الشبح المميت..... 20

خواطر عن الصحافة 24

فرحةُ العيد.. أين أنتِ الآن مِنّي ؟ 27

قوليها يا حواء!..... 30

ما ظننتُك شاعرًا 36

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد...

هذه خواطري وخلجات نفس كتبتها على فترات متقطعة بدأتها منذ أكثر من ثلاثة عقود، في مدن ودول مختلفة ، ونادرًا ما أكتب الخاطرة ، وذلك عندما تمر بي مشاعر وأحاسيس لا أستطيع كتمها في داخلي ؛ إذ أجدها تنساب من داخلي ، ولعل هذه الخواطر على قلتها تُبيّن مدى معاناتي وآلامي في إيصال فكري وكلماتي للنّاس كما كتبتها أنا بأسلوبي أنا دون أن يعبث بها أحد ، أو يوقفها ويحول دون نشرها ووصولها للناس بأمانة ، آمل أن تجدوا متعة في قراءاتها، وأنتم تصحبونني في خواطري خلال رحلتي في الحياة .

مدنية أنا

مدنية أنا

المدينة المنورة مهبط الوحي ، وما أقدسه من مهبط!

المدينة المنورة التاريخ ، وما أعظمه من تاريخ!

المدينة المنورة السيرة النبوية ، وما أعطرها من سيرة!

المدينة المنورة دار الهجرة ، وما أرحبها من دار!

المدينة المنورة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ، وما أكبره من جهاد!

المدينة المنورة الشهادة في سبيل الله ، وما أعلاها من شهادة!

المدينة المنورة الإيمان بالله ، وما أعمقه من إيمان!

المدينة المنورة الحب في الله ، وما أصدقه من حب!

المدينة المنورة الإيثار في أجمل صورة ، وما أخلده من إيثار!

المدينة المنورة السمو بالنفس ، وما أرقاه من سمو!

هذه هي المدينة المنورة بالنسبة لي ..إنَّها تعني لي قداسة التشريع ،ونقاء العقيدة ،وعظمة التاريخ ، وعطر السيرة ، ورحابة الدار ، وصدق الحب ، وعمق الإيمان، وسمو النفس ، وخلود الإيثار ، وعلو الشهادة ، وكبر الجهاد ، هذه المعاني جميعها قد اختلطت في أحاسيسي ،وامتزجت في دمي، توغلَّت في أعماقي ، واستقرت في عقلي وقلبي، وتشكل منها عقيدتي وفكري ، فأصبحت كل كياني، وأضحت تجري في جسدي مجرى الدم في العروق، وما سطره يراعي ما هو إلاّ ترجمة هذا الامتزاج بذلك الانتماء، الانتماء إلى النبع الصافي للإسلام، والامتزاج بما جاء به هذا الدين من مبادئ وقيم ومُثل كانت المدينة المنورة مثلًا حيًا صادق لها ، ومنارة عالية لازالت أصداء أصوات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي العنهم التي انطلقت منها تتردد في الأجواء فتتلقاها الأسماع .. إنَّ كل ما شهدته هذه الأرض الطيبة من أحداث في عهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، صحابته من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم تتمثل أمامي، وأنا أتنقل في جنباتها، وفي أحيائها، في طرقاتها وفي جبالها ووديانها، في حدائقها وحقولها، وفي لحظات خلوي بنفسي لأمسك بالقلب واكتب، فأشعر برهبة وخشوع ، وحب كبير لهذا الانتماء ، فأنا مدنية الفكر والروح والوجدان،

وما سجله قلمي إلى الآن ذرة ممَّا أحمله في قلبي من حب كبير للإسلام الذي كانت المدينة المنورة عاصمته الأولى ، ومؤيدته ومنارته.

أبي ليتك كنت هذا اليوم معي

خاطرة أبي ليتك كنت هذا اليوم معي[1]

استميحك العذر يا أبي إن تحدثتُ اليوم عنك ،فلقد أتت اللحظة التي لم أستطع فيها التحكم في نفسي فأكبتُ أحاسيسي ،وأحجبُ مشاعري ،وأغفل حقك عليَّ ، هذه اللحظة هي أسعد لحظات عمري تمنيتك فيها أن تكون معي .. أتدري يا أبتي ما هي ؟ إنَّها لحظة الحصاد ،حصاد أول ثمرة من ثمار غرسة صغيرة ضئيلة بسيطة توليتَ أنتَ رعايتها وسقايتها والعناية بها ومنحتها كل ما يساعدها ويؤهلها على الإثمار باذلاً في ذلك ما تملك من مال وجهد وصحة حتى استطاعت في النهاية أن تطرح هذه الثمرة . فلكم هو عزيز على نفسي إنَّك أنت يا أبي . يا أحب النَّاس إلى قلبي ،يا روح روحي،يا نور عيوني ،يا مهجة فؤادي ،يا بسمة وجداني كم هو عزيز على نفسي أنَّك في هذا اليوم لا تكون معي .. أتدري يا أبتي ما هي ؟؟ إنّها لحظة الحصاد، حصاد أول ثمرة من ثمار غرسة صغيرة ضئيلة بسيطة توليت رعايتها وسقايتها والعناية بها ،ومنحتها بكل ما يساعدها ويؤهلها على الإثمار باذلاً في ذلك ما تملك من مال وجهد وصحة حتى استطاعت في النهاية أن تطرح هذه الثمرة.. فلكم هو عزيز على نفسي إنَّك أنت يا أبي ... يا أحب النَّاس إلى قلبي يا روح روحي يا نور عيوني ، يا مهجة فؤادي ،يا بسمة وجداني .كم هو عزيز على نفسي أنَّك في هذا اليوم لا تكون معي ، لا أنت معي .. أجل أنت معي.. بروحك أنت معي .. بل بجسدك أيضاً معي .. فلقد رأيتك أمامي ساعة استلامي لكتابي .. البسمة على شفتيك .. الفرحة في عينيك ..البشر لاح على وجنتيك ..محياك مشرق باسم ،عيناك لامعتان براقتان تنطقان . بصمتهما الناطق . بالتهنئة ،بنظراتك الحانية تلك التي تعودتها منك دائماً عندما أنجز عملاً يسرك .. صوتك وصل إلى مسمعي قائلاً لي .. مبروك يا أم أبيكِ كما كنت تناديني .. فضممتُ الكتاب إلى صدري ،و قبَّلته فلقد رأيتك فيه ،بل حسبته أنت.. كيف لا وصورتك متجسدة أمامي ، وأنا أقرأه ، وأقلب صفحاته ،وقد كنت معي ، وأنا أسطر كل حرف من حروفه ، وكل كلمة من كلماته ،فلن أعيد عليك مضمون هذا الكتاب لأنَّني أخبرتك به ساعة تسجيلي له كلمة بكلمة ، وحرفاً بحرف.. لقد بعثتُ لك أحرفه وكلماته مع كل نسمة عليلة داعبت ثرى لحدك ..بعثتُ لك أحرفه

---

[1] . هذه الخاطرة نُشرت في جريدة المدينة في عددها رقم 5464 الصادر في 1402/5/9هـ، وقد نشرت أيضاً في كتاب "من عمق الروح وصلب الفكر، وكتبتها عند إصدار أول مؤلف لي ،وهو " مسيرة المرأة السعودية..... إلى أين ? ونُشرت في مدوّنة الدكتورة سهيلة زين العابدين حمّاد بتاريخ 24 إبريل عام 2012هـ على هذا الرابط http://dr-suhaila-z-hammad.blogspot.com/2012/04/blog-post_2628.html

وكلماته مع كل قطرة ندى بللت تراب قبرك .. بعثتُ لك أحرفه وكلماته مع كل ضوء قمر ونور شمس أضاء قبرك ..بعثتُ لك أحرفه وكلماته مع تغريدة كل بلبل ،وشدو كل طير رفرف فوق مرقدك ... بعثتُ لك أحرفه وكلماته مع شذا كل زهر ، وعبير كل ورد ،و أريج كل عطر امتزج بتراب مثواك ...بعثتُ لك أحرفه وكلماته مع أمواج المحيط الأطلسي ، وأنا أكتب تمهيد هذا الكتاب في الشرفة المطلة على شاطئ المحمدية في بلاد المغرب العربي .. حيث هناك قررتُ كتابة هذا الموضوع ؛إذ آلمني ما رأيتُ عليه المرأة المسلمة في بلاد المغرب العربي ،وآلمني أكثر ما رأيته وسمعته عن المرأة السعودية هناك.. بعثتُ لكِ أحرفه وكلماته مع كل هؤلاء .. ألم تبلغك أحرفي وكلماتي؟؟ أنا لا أشك في أمانة التبليغ عند الشمس والطير والبحر والقمر... ولا ارتاب في صدق التبليغ عند الورد والزهر والعطر والقطر... ولا أشك في الضوء والموج والندى...لا ارتاب في الأريج والعبير والشدو والشذا...فهم جميعاً أكثر أمانة وصدقاً من بني البشر... عجباً ماذا دهاني ..كيف أبعث لك بأحرفه وكلماته ،وهي أحرفك أنت ،وكلماتك أنت..إنَّه كتابك يا أبي ..نعم ...كتابك فهذا بفضل الله ،ثُمّ بفضلك أنت ، فلولا أنت لم أكن أنا ..ولولا ما بذلته من جهد ومال وتضحيات من أجل تعليمي لما استطعتُ أن أمسك بالقلم ،وأكتب كلمة واحدة.. لقد كان بإمكانك أن تبعثني إلى الخارج للدراسة ،فالمال الذي أنفقته على تعليمي أكثر من الذي ستنفقه لو بعثتني إلى الخارج ، فلولا حرصك الشديد على أن أتلقى العلم هنا في مهد الإسلام ، رغم أن ذلك على حساب صحتك ، لأستلهم منه النور والهداية ، وليكون علمي مبنياً على أساس ثابت من الدين والعقيدة ليثبت أمام كل أعاصير الدنيا وأمواجها العاتية لإسقاطي في مغرياتها ، ولولا ملازمتي لك ، ومعاشرتي عن قرب وكثب لك ؛إذ رأيتُ فيك سلوك المؤمن بالله ، الحافظ لكتاب الله ، المتفقه في دين الله ، المتخلق بأخلاق كتاب الله ، لولا هذا كله يا أبي لما استطعتُ أن أكتب بصدق وإيمان وعقيدة عن هذا الدين الذي أحببته أكثر وأكبر من حبي لك ، وأنت أيضاً أحببته أكثر وأكبر من حبك لي ، وأفديه بروحي ودمي ، وادعوا الله أن يكتب لي الشهادة في سبيله ،وأخذتُ الكلمة طريقاً إلى الجهاد من أجله.. أتدري يا أبي ماذا يقول بعض الناس عني ؟؟ قالوا إنَّ هناك رجلاً يكتب لي ، وأعتقد أنَّه آن الآوان لأقول لهم : إنَّه إن كان هناك رجل يكتب لي فهذا الرجل هو أبي ،نعم أنت يا أبي ،إيمانك .. مبادؤك ... ثباتك على الحق... علمك ... تفقهك في أمور دينك ...تربيتك الإسلامية لي ولإخوتي .. زهدك .. صمتك .. تقشفك .. قناعتك .. أمانتك ... كرهك للمظاهر .. صدقك .. خوفك الشديد من الله ومراقبتك له في سرك وعلانيتك ... طيبتك .. حبك لفعل الخير .. دأبك وإصرارك على تعليمي أنا واخوتي .. معاشرتك لكتاب الله ، فلا أراك إلاّ وتتلو القرآن في الثلث الأخير من الليل ،وفي الضحى ،وفي كل وقت

وحين ، وحتى وأنت على فراش الموت لسانك لا ينفك عن ترديد آيات الله البينات ... كل هذه المعاني استلهمتها منك .. حياتي معك ، وحياتك معي تمر بذاكرتي لحظة بلحظة ،وثانية بثانية ،وأخرج منها بكثير من الدروس والعبر أسجلها على الورق ، وكلما زاد تأملي وتعمقي فيها كلما زاد فهمي وإدراكي لها ،فها أنا ذي ابنتك ،قطعة منك ،وأنت قطعة مني لا يستطيع أحد انتزاعك مني ،ولا حتى اسمك... قالوا إنَّ اسمك بات طويلاً فاحذفي اسم أبيك واكتفي باللقب العائلي ، فقلتُ لهم : لا سيظل اسم أبي ملتصقاً باسمي ،فإن أردتم محوه فامحوا معه اسمي فلولا هو لم أكن أنا. تُرى هل سيعذرني قارئي في حديثي هذا إليك..؟؟؟ أليس من حق الكاتب أن يعبر ولو لمرة واحدة عن أحاسيسه في مناسبة كهذه تجاه أحب الناس إلى قلبه؟؟؟

رسالة إلى أعز الحبايب أمي

رسالة إلى أعز الحبايب أمي

أمي الحبيبة : هذه أول مرة أمسك فيها القلم لأوجه لك رسالة بعد فقدي لك منذ أحد عشر عامًا، وكان هذا القلم قد توقف عن الكتابة خمس سنوات بعد رحيلك عن دنيانا، لأنَّه أبى الكتابة بعدك ،فقد كنت أول من يطلع على ما يخطه هذا القلم ، وعزّ عليه بعد رحيلك أن يكتب كلمات لا تسمعينها ،ولا تُبدين رأيكِ فيها ،خاصة وأنَّ حاملة هذا القلم هي ذاتها قد تبعثرت بعد فقدها لك ، وإلى الآن لم تُلملم شتات نفسها ،فبعد فقدها لك افتقدت الحب والحنان ،وكُشفت أقنعة كان البعض يرتديها مجاملة لكِ ،كما باتت الدنيا موحشة بعدك . تعلمين يا أماه مدى حبي لأبي . رحمه الله . ومدى تعلقي به ،وكم كان فراقه قاسياً عليَّ ، ولكن وجودك معي احتضانك لي ، ضمك لي في صدرك، دفء حبك الذي غمرني خفَّف عنى وطأة الفراق ، ولذا آثرت البقاء معك وملازمتك ،وعدم مفارقتك ، فكنتِ لي كل الأهل مجتمعين ، فوجودك معي لم يُشعرني باليتم الذي ما شعرت به قط إلاَّ بعد فقدي لك، فيوم وفاتك كان يوم وفاة أبي أيضاً ، لقد افتقدتكما معاً مع أنَّه سبقك في الرحيل بعشرين عامًا. يا نهر الحب الصافي، يا ينبوع الحنان المتدفق ،يا من وهبتِ حياتك وصحتك وشبابك لي ولإخوتي من أجل تربيتنا ، يا من طالبتِ بتعليمي أنا وأخواتي البنات ، وتعبت مع والدي من أجل تعليمنا ! يا من قدمت لي النموذج والقدوة لما ينبغي أن تكون الأم والزوجة والابنة ، فصورتك الجميلة تمثل أمامي كلما سطَّرتُ كلمة عن الأم والأمومة ،وعن الزوجة والزوجية ،وعن الابنة والبنوة ،بل عن المرأة ومالها من حقوق ،وما عليها من واجبات ، وما على الإنسان من واجبات ، وماله من حقوق ، لقد علمتني أنتِ وأبي الجرأة والثبات على الحق من خلال مواقفكما الثابتة ،وعلمتني أنتِ وأبي على عدم النفاق ، وارتداء الأقنعة لأنَّكما كنتما تكرهان الكذب والنفاق ،وكنتِ يا أماه تملكين قدرة عجيبة على المواجهة والمكاشفة . أمَّاه كم أنا في شوق إليك !! وها هي باقة حب أقدمها لك في يوم تكريم الأم ،وأنت يا أمي تستحقين كل تكريم

يا قلمي!!!

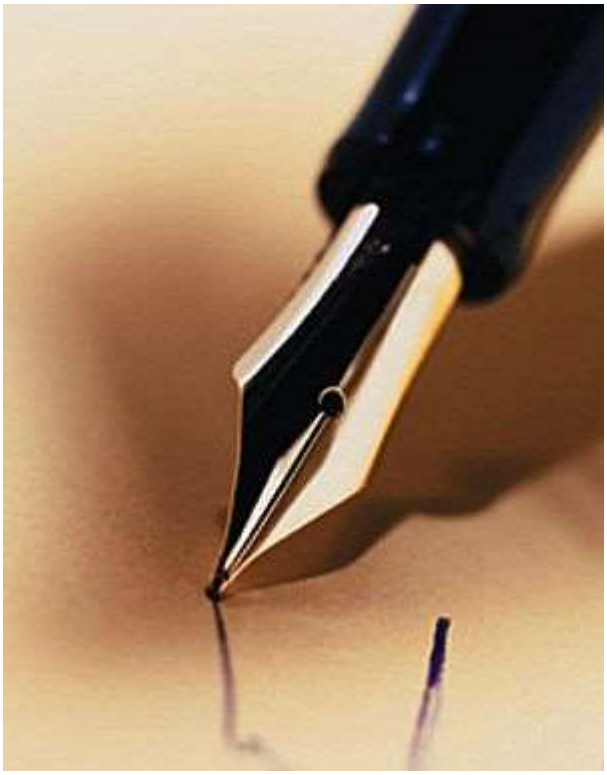

يا قلم !!!![1]

أيهذا القلم مالي أراك حزيناً غاضبا ،تحجم عن التسطير وأنت المسطر؟!! يا عدة الكفاح والجهاد !! يا رفيق الحياة وزاد الآخرة!! يا من اقترن باسمي ما تخطه ريشتك ، ويرسمه مدادك!! لمَ أنت اليوم خازلي ، فكلما أمسكتُ بك أجدك تفلتُ من بين أناملي ، فتسقطُ على الورق رافضاً الكتابة؟ الأفكارُ تزدحم في رأسي والدموعُ تنهمر من عيني لتكون مداداً أملأ به جسدك بعدما أنزفت الجراحُ ما بك من مدادٍ فشحَّ ونضب لتعودَ إليك الحياة من جديد فتعاود الكتابة ، ولكن ... باءت كل محاولاتي بالفشل ،وأبيتَ الكتابة ، وظلَّتْ أوراقي بيضاء خالية ممَّا للسطورِ من أثر، بينما الأفكار لا تزالُ تبحثُ عنْ منفذٍ لها بين السطورِ علَّها ترى من خلالها النور. يا عدة الكفاح والجهاد !! يا من أدَّخِره ليوم الحساب!! هل أسأتُ إليك؟ هل خُنتُ أمانتك؟ يعلمُ اللهُ خالقي أنَّني منذُ وضعتُك بين أناملي ،قد عاهدتُه أن تكونَ عدتي في جهادي ،فأنت سيفي الذي بوساطته أحارب الباطل في سبيل الحق لإعلاءِ كلمة الله الحق ،ويشهدُ على هذا ما خطَّتُه يدي بك ،فابحث عن سطوري ،تفحص كلماتي ،نقِّبْ عن مؤلفاتي، ستجدني قد حافظتُ . بفضل من الله . على أمانتِك ،وجاهدتُ في سبيلِ الحفاظِ عليها ، ولن أتخلى عنها ولو كان الثَّمَنُ حياتي. يا عدة الكفاح والجهاد !! يا رفيق الدَّرْبِ في هذه الحياة!! لمَ أنتَ مُعَذِّبي ، وأنا أجدُ السعادةَ كلَّ السعادةِ معك ،فتؤخرني أيُّها الرفيق عن مواصلةِ الطَّريق ،وأنتَ تعلمُ أنَّني في سباقٍ مع الزَّمن . أجل فأنا في سباقٍ مع الزمن ، أريدُ أنْ أُدوِّنَ أكبرَ قَدْرٍ ممَّا أحملهُ في داخلي قبلَ أنْ تفيضَ الرُّوحُ ويفنى الجسد ،لا أريدُ أن ألقى وجهه الكريم وقد كتمتُ علماً ممَّا علَّمني إياه ،فحتى هذه اللحظة لمْ أُدوِّنْ إلاَّ القليل ممَّا أحملُ من علمٍ ضئيلٍ ، إذ لا يزالُ في داخلي الكثير الكثير.. فهل تريدني يا أعزّ من الرُّوحِ أنْ أُلْجَمَ بلجامٍ من نار ساعة الحساب ؟ لقدْ أضعتَ من عمري الآن ثلاثة أشهر ، مضتْ عليَّ وكأنَّها قرنٌ من الزَّمانِ؛ إذ أحسستُ بالشيخوخةِ والهرمِ قد تملَّكا جِسمي

---

[1] . نُشرت هذه الخاطرة في ملحق الندوة الأدبي : الأحد 27 محرم 1408هـ العدد 8684 كتبتُ هذه الخاطرة بعدما تمكّن أنصار الأستاذ توفيق من توقيف نشر الحلقات الأخيرة من بحث " فكر توفيق الحكيم تحت مجهر التصور الإسلامي الذي نشر على حلقات على مدى ثلاث سنوات، وذلك بعد عجزهم عن الرد عليّ، وعندما علمتُ بذلك كتبتُ هذه الخاطرة ، وبعد نشرها في جريدة الندوة عام 1408هـ أُعيد نشر باقي البحث إلى نهايته . وأعيد نشر هذه الخاطرة في مدوّنة الدكتورة سهيلة زين العابدين حمّاد يوم الخميس 11 سبتمبر 2011م ، وهذا رابط النشر http://dr-suhaila-z-hammad.blogspot.com/2011/09/1_29.html

بعد ما مزَّق أحشائيَ الألم! كيف لا أتألم وأنا أرى الذين خانوا أمانتك ،وأساءوا استخدامَك قد غدا لهم الحماةُ والأنصار؟؟؟ كيف لا أتألم وأنا أرى للباطلِ مناصِرين ومُؤَيِّدين ،وللحقِّ مخْرِسين ومُسْكِتين؟؟؟ كيف لا أتألم ،وأنا أرى الإسلامَ يُحاربُ من بني الإسلام ؟!! أنتَ يا قلم ! سلاح ذو حَدَّيْن : أحدُهما يبني ،والآخرُ يهدم ،يهدمُ أساس الإنسان عقيدته وفكره، وإذا هدم فهو يهدم هذا الأساس ليدمرَّ معه كلَّ شيءٍ،فتنهارُ المبادئ والقيم ،ولا يبقى من إنسانيةِ الإنسان وآدميتهِ إلاَّ أطلالاً ،وما أكثر الذين استخدموا حدَّك الهدَّام فجعلوا معظم بني الإنسان أتباعاً لهم يُروِّجونَ لهم ما يكْتُبون ،ويُردِّدُون كالببغاواتِ ما يقولون دون وعيٍ أو إدراك ، فغدت أقوالُ الهدَّامين هدياً ونبراساً للتابعين ،بل هي العقيدة التي يدافعون عنها دفاع المستميت! يا عدة الكفاح والجهاد ...يا من وهبْتُه زهرةَ العمرِ والشباب!! ما سرُّ موقفك هذا معي ؟؟ لماذا ترفضُ مواصلةَ الطريقِ برفقتي؟؟ ما الذنبُ الذي اقترفتُه في حقك؟؟ ألكوني استخدمتُ حدَّك البنَّاء لأقهرَ به ذاك الحدَّ الهدَّام الآخذ في الزِّيادةِ والانتشار ،وقد جعلَ من الحقِّ باطلاً ،والباطلِ حقاً ؟!! ألكوني أردتُ الاسهامَ في تصحيحِ مسارِ الفكرِ وتنقيتهِ من شوائبِ البدعِ والشِّركِ والإلحاد؟!! أجبني يا قلم !! استحلفُكَ بالذي أقسمَ بك ،وبما تسطِّرُه ،وإنَّه لقسمٌ جدُّ عظيم أنْ تُجبني ؟! فافصِحْ لي بربِّك عن السَّبَبِ ، فقد أعياني كثرةُ التفكيرِ بالتعب !! منْ قال لكَ إنَّني قد تخليتُ عنكَ ، ورفضتُ السَّيرَ معك ؟ أنا . يا فكر . معك طالما فيكَ عِرقٌ ينبضُ ،وعقلٌ يُفكِّر ، ولكنك أسأتَ فهمي ،وما حدثَ منِّي . في الآونِة الأخيرة . ما هو إلاَّ حمايةً لك من كُلِّ امتهان ،فما أبيتُ لك الكتابة ، ولكن .. أبيتُ لك الضيْم !! إنَّ الفكرَ يجبُ أن يُكرمَ ولا يُمْتَهَنَ صاحبُهُ ، ولا يُهان، لقد كرَّم اللهُ ابن آدم ،وميَّزَه بعقلهِ وفكرِهِ عن سائرِ المخلوقاتِ ،فأرقى ما في الإنسانِ فكره ،وإذا أُمْتُهِنَ أرقى ما فيه ماذا بقي له؟؟ وكيف إذا كان هذا الفكرُ فكراً إسلامياً يُجاهدُ في سبيلِ إعلاءِ كلمةِ الحقِّ؟ لذا رفضتُ . في الآونةِ الأخيرة . التجاوبَ معك ،لأنَّني لا أريدُكَ تسطِّر بي كلمةً واحدةً ، وأنتَ مطعونٌ في كرامتِك ،مكلومٌ في عزّتِك . أو تعلم لقد أنزفتُ مدادي عمداً لتجفَّ ريشتي فلا تتمكنُّ من الكتابةِ بها؟ !! أو تعلمُ فلقد لا مست ريشتي دموعَ العيْنِ ، ولكنَّها رفضتْ أنْ تجعلَ منها مدادا، فالدُّموعُ مدادُ الضُّعفاءِ ،والفكرُ الإسلاميُّ ليس بضعيفٍ ، إنَّهُ قويٌّ بالحقِّ فلاَ يَكْتبُ إلاَّ بِمدادِ الأقوياءِ. وهل تراني يا قلم قد استسلمتُ ورضيتُ بالامتهان ؟ لا ورب العزّةِ لمْ أرضْ بهِ مهما كانَ الثَّمنُ غالياً ، إنْ كانَ يرْضى بهِ أيُّ فكرٍ ،ولكنَّ الفكرَ الإسلامي يأبى كُلَّ ضَيْمٍ وامتهان ؛ إذْ كيْفَ يَرْضى بالذُّلِّ والضَيْمِ ،وهو الذي يسعى إلى تحريرِ الإنسانِ مِنْ ذُلِّ التبعيةِ والاستعبادِ ؟ العبوديةُ للهِ وحدهُ الواحد القهَّار ، وليسَ لماركس ولينين وسارتر وغيرهم من أذنابِ الشَّيطان. أنا يا فكر وكرامتُك توأمان لا نفترقان ، وهاهي كرامتك قد أعيدت إليك ، وها

أنا ذا قد عدتُ معها ! تدركُ يا قلم إنَّ الطريقَ التي سنسلكها معاً طريقٌ جدُّ شاقة وطويلة ،طريقٌ وعِرة ليست ممهدة ؛ إذْ سنواجهُ تياراتٍ عنيفة وقوية ،لأنَّنا سنسيرُ في اتجاهاتها المضادة . تدركُ يا قلم أنَّ حدَّكَ الهدَّام قد غلبَ حدَّكَ البنَّاء فعمَّ العالمُ الخرابَ والدَّمار والإرهاب وسفك الدِّماء ، روما خلاصُ العالم إلاَّ بغلبةِ حدِّكَ البنَّاء ؛ إذْ به يُقَوَّمُ كُلُّ اعوجاجٍ ، رويُصحَّحُ كُلُّ انحرافٍ ،ويُقَاومُ كُلُّ إلحادٍ ، فَيَعُمُّ الإيمانَ العقول والقلوب والنُّفوس ،وتعودُ للإنسانِ إنسانيتُه وآدميتُه ، فلنُعاودُ معاً مسيرة البناء يا عدة الكفاح والجهاد!!!

إذا أردت وأدي صد فكري... وإذا أردت قتلي فاقتل كلماتي

إذا أردت وأدي فئد فكري .. وإذا أردت قتلي فاقتل كلماتي

إنَّ حياتي ليست في جسدي المتحرك ، وإنَّما هي في كلماتي المعبرة عن فكري، النابعة من أعماق أعماق روحي ، المنبعثة من عصارة أحاسيسي ، أفلا تعلم كم هي آلام الآباء عميقة وأحزانهم مؤلمة عندما يفتقدون أبناءهم الذين خرجوا من أصلابهم ، وقد لا يتحملون الحياة بعد رحيلهم عنها ..؟

هكذا كانت آلامي وأحزاني عندما افتقدت كلماتي التي عبَّرتُ بها عمَّا خرج من صلب فكري وعميق أحاسيسي ... لا تتعجب لقولي هذا .. فلقد قتلت فيَّ كل شيء ينبض بالحياة عندما اغتلت كلماتي .. فها هي أوراقي قد تراكمت وتمزَّقت ، وريشة قلمي قد تحطَّمت وتكسَّرت ، ووعاء حبري قد جفَّ ونضب ، وفكري قد توقف عن العطاء وتعطل ، ويدي قد ارتعشت وعجزت عن الإمساك بالقلم، فأنَّى لي الحياة بعد أن افتقدتها في كل هؤلاء... ؟

إنَّ حياتي هي في كلماتي، إن ماتت متُّ معها ؛ لذا أقول: إذا أردت وأدي فئد فكري ... وإذا أردت قتلي فاقتل كلماتي .. ولا تسلني بعد ذلك أين أنت..؟ ولماذا احتجبتِ ؟ لأنَّني سأكون وقتها عاجزة عن الإجابة بعد أن قتلت كلماتي وأخرستَ لساني .. ووأدت فكري ...ولكن قبل أن تصدر حكمك بالإعدام استمع إلى دفاعي .. أنا ما عهدتُ فيك الظلم فلا تكونن ظالمًا، وتصدر حكمك قبل سماعك لدفاع المحكوم عليه ، فارفق بكاتب وجد في الكتابة رسالته وهدفه في الحياة ، ووهب لها روحه ونفسه حتى غدت هي حياته ..

وكن مدركًا لإنسانية الكاتب ولأحاسيسه المرهفة !! وأنت تعلم أنَّه لو لم يكن مرهف لأحاسيس لما كان كاتبًا ، فانظر إليه كنظرتك لإنسان يكتب ، وليس لآلة مهمتها أن تكتب فقط ، فلا تحس ولا تشعر بما تكتبه ، ولا تتألم وتحزن عندما تتعرض كتاباتها للقتل والاغتيال...

يا صاح .. كن مدركًا أنَّ لكل فكر موطنًا ، وكم هي آلام الفكر شديدة ، وجراحه عميقة عندما يشعر بالغربة وهو في موطنه الذي شهد مولده ، فيجد كلماته فيه ليست هي بكلماته..

الشبح الميت

الشبح المميت [1]

أيهذا الشبح المميت ماذا تريد مني ؟ لماذا تلاحقني ..تطاردني؟

لماذا تريد هلاكي والقضاء على حياتي؟ كلما تمر الأيام أراك تدنو مني ،بل أحس الآن بثقل قيودك التي لففتها حول فكري ...إنَّك تخنقه ...تحبسه ...تكتم أنفاسه...تئده مع أنَّه لا يزال ينبض بالعطاء، لم يتمم بعد رسالته، ولم يحقق غايته ، فلديه الكثير الكثير، بل إنَّه الآن والآن بالذات، وبعد أحداث صبرا وشاتيلا في لبنان الوضع يتطلب من كل حامل فكر إنسان التأمل في ما آل إليه وضع المسلم ، وما أضحى عليه من ذل وهوان، فبعدما رأى كرامة المسلم قد داستها أقدام أهل الكفر والطغيان يريد أن يسهم ـ على قدر استطاعته ـ لينتشل الإنسان المسلم من كبوته ،وليوقظه من غفوته لتعود إليه مقومات شخصيته التي مسخت وذابت في خضم الشعارات الزائفة المهلكة فلم يعد للشخصية الإسلامية وجود يذكر...وهذا ضاعف آلامي وأحزاني . آهٍ لو تعلم كم من الآلام التي سببتها ببعثرتك لفكري، وحبسك له! آهٍ لو تعلم كم من الدموع التي ذرفتها عيناي وهي تنظر إلى كتبي . وأنا أمسح عنها كل ذرة تراب تمسها . لامحة نظرات العتاب لي وكأنَّي بها تحاورني معاتبة لي قائلة: أين أنتِ منا؟ أو نسيتِ تلك الليالي الطوال التي قضيتها بيننا فلم يعرف النعاس طريقه إلى عينيك ، وأنتِ معنا فإن طلع الفجر وانطلق الآذان في الأجواء تركتنا غصبًا وكرهًا لا مللًا ولا ضجرًا ،فما الذي طرأ عليك ؟ وماذا حدث لك؟ وأجيبها بقلب محترق وحزن مكثف، وألم مبرح : لا لم أنس كل ذلك ..كيف أنسى أجمل ساعات عمري ، وأسعد لحظات حياتي ، بل هي كل حياتي ..ولكنهم وأدوا فكري ..ضيَّعوه ...تاه فلم يتبينوه ..اغتالوا روحه، ولستُ أدري ماذا جنيت ؟ ما الذي اقترفته ؟ لستُ أدري؟ فأنا لم أسء إليهم : ولا أفكر قط في الإساءة إلى أي إنسان حتى ولو أساء إليَّ . فأنا أعيش الآن بينكم بفكر قد وأدوا روحه بعد أن دُسَّت بين أكوام التراب، ولا أريد أن يمسكن التراب، ولهذا كان حرصي أن أمسح عنكم كل ذرة تراب تصيبكم فأنتم زاد فكري، ولا أحب أن يغمر زاده التراب ،كما تراكم على روحه التراب. يا قاتلي ألا تعلم أنّ للفكر روحًا كما للجسد روح وأنَّك في مقام الطبيب؟ الطبيب مسؤول عن روح الجسد، وأنت مسؤول عن روح الفكر، فإذا أهملت هذه الروح تكون قد أطفأت فيها كل شعلة إبداع، قتلت فيها كل روح عطاء،

---

[1] . نُشرت هذه الخاطرة في جريدة المدينة العدد 5854 الصادر في يوم الأحد 30 جمادي الثانية سنة 1403هـ ، الموافق 14/ 4/ 1983 م ، كتبتها بعدما ترك الأستاذ أحمد محمد محمود رئاسة تحرير جريدة المدينة الذي كان حريصًا على النشر الأمين لمقالاتي، ولكن بعد تركه لجريدة المدينة تعرّضتْ مقالاتي لكثير من الحذف والتغيير، وكان هذا يؤلمني ، وعبّرتُ عن آلامي ــ آنذاك ــ بهذه الخاطرة.

وحكمت على صاحبها بالفناء ... فالفكر ليس كالكرة يتقاذفها اللاعبون ... هنا وهناك وتدوسها الأقدام ..إنَّ الفكر يجب أن يُكرم ويُصان ،ولا يُداس بالأقدام. لا تتعجب لهذا القول ، فكما يبدو أنَّنا مختلفان في مفهومنا لحياة الإنسان فأنت ـ كما يبدو لي ـ ترى حياة المرء في قلبه النابض، وجسده المتحرك ، بينما أرى حياته في فكره المتوقد ، وهذا ما يميزه عن سائر الكائنات الحية ، فالإنسان في نظري حي مادام فكره خيرًا بناء معطاء وهو ميّت إن كان فكره عاطلًا خاملًا ؟ فعطاء الفكر هو الذي يكتب للإنسان خلودًا ، وحياة رغم مرور مئات السنين ، بل ألوفها على فناء جسده : أمَّا عطاء الجسد فهو يفنى ويزول .. ما الذي جعل ابن خلدون ، وابن سيناء ،ومالك بن أنس ،وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثر يعيشون بيننا كل هذه السنين ؟ أهو عطاء الجسد أم عطاء الفكر ؟ عطاء الفكر أن نعرف ابن خلدون من خلال مقدمته ، وابن سيناء من خلال أبحاثه ودراساته ، ومالك بن أنس من موطأه ، وأحمد بن حنبل من مسنده وغيرها كثير. أو تدري ما هو سر فناء عطاء الجسد، وخلود عطاء الفكر؟ لأنَّ عالم الفكر لا يؤمن بالماديات كعالم الجسد. فعالم الجسد يُمجِّد الجمال المرئي المحسوس : ويجنِّد كل طاقاته وغرائزه للحصول عليه سواءً كان هذا الجمال يتمثل في إنسان أو حيوان ، أو نبات أو جماد : قد يبيع نفسه : ويفقد ضميره : وينسلخ من آدميته وإنسانيته : فيسفك الدما ، وينتهك الأعراض ؟ ويسلب الأموال: ويشعل النيران في سبيل امتلاك هذا الجمال والاستحواذ عليه. أمَّا عالم الفكر الخيِّر، فإنَّه عالَمٌ روحانيٌ ،عالَمٌ لو غُصتَ في أعماقه فلا تجد فيه إلاَّ الحب والخير وإفناء الذات في سبيل نشر الخير على مَن يُحب ..عالَمٌ لا يعرف الحقد والكراهية والأثرة والأنانية ..إنَّه لا يتعامل بالنقود ، وإنَّما يتعامل بالعقول ، عملته المتداولة هي العقل والمنطق خزائنه وكنوزه هي الكتب والمكتبات لا البنوك والمصارف التي هي خزائن الجسد ، وشتَّان بين عُملة الفكر وخزائنه وكنوزه ! وهذا سر من أسرار خلود الأخير وفناء الأول. إنَّ لكل من الجسد والفكر رياضه.. فرياض الجسد تتطلب منك التنقل والترحال وركوب البحار بحثًا عنها في كل مكان ... بينما رياض الفكر تستطيع التجول فيها وقتما تشاء، وأينما تشاء دونما تحتاج إلى ركوب مطية، ولا إبراز هوية.. وهي إلى جانب هذا لا تعترف للزمان وجودا ؛ إذ تستطيع فيها اختراق حاجز الزمن، فإن كنتَ بالأمس قد تنقلَّت في رياض الفكر قبل ألفي عام تستطيع اليوم أن تنتقل في رياض فكر هذا العالِم ، بل تستطيع هذا في طرفة عين ، فهي تملك بساطًا سحريًا يخترق الأماكن والأزمان ، وُيعرِّفك بأمم وحضارات وعلوم وثقافات : ورياض الفكر كثيرة ومتعددة بعضها شائك مليء بالمنحيات والمنعطفات ،ولا تستطيع التجول فيها، والنجاة من حفرها وأشواكها ومنحنياتها ومنعطفاتها إلاَّ إذا كنتَ مزوداً بزاد التقوى والإيمان بالله ، فهو الزاد الذي ينجيك من المهالك، وينقذك من المخاطر، ويجعلك تميز بين

الأصل والزيف، فلا يأخذك بريق الزائف ، ويصرفك عن لمعان الأصل. ومتعة الجسد ليست كمتعة الفكر. فمتعة الجسد قوامها الأنانية، وحب الذات ، أمَّا متعة الفكر فقوامها التضحية وإنكار الذات، وهذا سر آخر من أسرار فناء الأول ، وخلود الأخير. والجسد ينتشي عندما يشم عبير الزهور، وأريج الورود وشذا العطور، ويطرب عندما يسمع هديل الحمام ،وتغريد البلابل ، وغناء الكروان ، وشدو الطيور... ويسعد عندما يرى أمواج البحار تدفق المياه، والأغصان متمايلة والثمار ناضجة .. في هذه الرياض يجد الجسد نزهته ونشوته وسعادته .. إنَّها رياض كالزمان لا تدوم على حال فهي متقلبة الأحوال، فتارة تجدها خضراء نضرة مزهرة مثمرة ..وتارة أخرى تجدها صفراء شاحبة ، وثالثة تجدها هشة متساقطة ، ورابعة جامدة غير متحركة. أمَّا الفكر البنَّاء الخيِّر فإنَّه يجد نزهته ونشوته في رياض لا تعرف للخريف والشتاء وجودًا، إنَّها في ربيع دائم ،وأعني بها رياض الفكر الإسلامي التي أشجارها كتاب الله وفروعها شرع الله ، وأنهارها كلام الله ، وثمارها سنة رسول الله ، وعمل وعِلم أصحابه ، ومن اهتدوا بهديهم ، وروَّادها من أحبُّوا الله ، ويجد سعادته في إعلاء كلمة الله ، وإحقاق الحق، فهذه الرياض يشع بين أرجائها نور الله، إنَّه نور الله، إنَّه نور على نور لا يضاهيه نور من استظل بظلها، واهتدى بنورها، وتغذى بثمارها كان سعيد الدَّارين. في هذه الرياض وجدتُ نفسي وسعادتي فلقد استظليتُ بظلِّها، وارتويت بمياه أنهارها ، واهتديتُ إلى طريقي بأنوارها، وتغذيَّتُ على ثمارها، ونشأتُ في رحابها، انظر: إنَّها تناديني ! فلماذا تقف في طريقي؟ لماذا تريد حرماني من التنزه فيها؟ هنا حياتي في العيش بين أرجائها، والاستنشاق من أجوائها، والتنفس بهوائها، وسعادتي في دعوة الناس إلى ارتيادها، والاستظلال بظلها، والتغذي على ثمارها. فيا قاتلي لا تحسبنَّ أنَّك حابسي! فلن تستطيع حبسي عنها ومنعي من الغوص في أعماقها، والعمل على الإكثار من روادها ...فإن نصَّبت نفسك حارسًا على باب من أبوابها، فاعلم أنَّ لها أبوابًا لا تملك مفاتيحها، ولا تدرك مغاليقها

خواطر عن الصحافة

خواطر عن الصحافة " [1]

الكاتب ما هو إلاَّ كتلة من الأحاسيس والمشاعر يتفاعل مع ما يراه من أحداث ، وما يسمعه عن أحوال الناس ، فتمتزج ثقافته وتجاربه مع ما يراه ويسمعه ، ويختلط بأحاسيسه ومشاعره ، وعقيدته ومبادئه، فيعج داخله بكل تلك الأحاسيس والانفعالات التي تغوص في أعماق ذاته، وتقفز إلى بؤرة فكره لتستقر فيها، فلا يهدأ له بال، ولا يهنأ له عيش، ولا يغمض له جفن حتى تتبلور كل تلك الأحاسيس والأفكار، وتخرج في صيغة كلمات، وكل كلمة منها تنبض بالحياة، لأنَّ فيها روح هذا الإنسان وفكره وعقيدته ومبادئه وقيمه ومثله وأحاسيسه ومشاعره، تكريمها تكريم له، وامتهانها امتهان لذاته، ولا يحبط الكاتب، ويوقفه عن العطاء إلاَّ إذ شعر فكره بالامتهان، لأنَّ هذا يُشعِر الكاتب بالذل والهوان، فكرامة الكاتب من كرامة فكره، لأنَّ أرقى ما في الإنسان فكره فإذا ما امتهنت أرقى ما فيه ماذا أبقيت فيه؟

فامتهانك لفكره يعني إصدار حكمك عليه بالإعدام ؛ لذا فإنَّ الفكر إذا ما أحس بالامتهان تجده يفضل وأد نفسه بنفسه على الاستمرار بعطاء بكرامة مطعونة، وعزة مجروحة. هل يتصور أحدكم مقدار معاناة هذا الكاتب عندما يئد فكره بنفسه؟

فبينما الأفكار تزدحم في رأسه تريد الخروج، ولكنه لا يسمح له، يدفنها في مكمنها وهي بعد حية، يئدها في داخله، نبض الحياة فيها ، يؤرقه في منامه ، ويصر على وأدها في أعماق أعماقه رغم ما يعانيه داخله من صراع عنيف بين الحياة والموت، بعضه يمزق بعضه، فهذا يريد الحياة، وذاك يريد الموت !!

لماذا يعيش كل هذا الصراع ؟

لأنَّه لا يستطيع أن يتحدث عن الإنسان، وكرامة الإنسان، وهو ذاته يشعر بالذل والامتهان ؟

وكيف يمتلك القدرة على الإقناع بما يُنادي به، وهو نفسه يفتقر إلى ما يُنادي به ففاقد الشيء لا يعطيه؛ لذا فإنَّه إذا ما تحدث، فإنَّ حديثه يفتقر إلى حرارة الصدق، وقوة الإقناع، فيأتي كلامه أجوفًا خاليًا من أي إحساس؛ لذا فإنَّ هذا الفكر يفضل وأد نفسه بنفسه على أن يكون عطاؤه أجوفًا خاليًا من الصدق والإحساس ،ولكنه .. في الوقت ذاته يعتصر ألمًا، ويتمزق أسى وحسرة، لأنَّه يريد العطاء بل السخاء فيه، ومع هذا لا يستطيع، فيحس بالعجز وهو ليس بعاجز! "[2]

---

[1] وقد نُشر في جريدة الجزيرة على ثلاث حلقات في العدد 4143 الصادر في 29 ربيع الثاني 1404هـ الموافق 1شباط/فبراير 1984م ،قلتُ في مقدمته :

[2] . هذا جزء من الحلقة الأولى من هذه الخواطر، والتي تعكس معاناة الكاتب ممَّا يقوم به بعض المشرفين على الصفحات من حذف أجزاء من مقاله، وأحيانًا يحدثون تغييرًا في بعض العبارات، فعندما يقرأ الكاتب مقاله لا يجد نفسه فيه، فهو غريب عنه، وفكرته باتت مشوشة، ومبتورة، وهذه المعاناة كثيرًا ما عانيتُ منها، وكنتُ عندما تتعرض مقالاتي إلى عمليات البتر والتشويه، أحجم عن الكتابة فترة، وأجاهد في سبيل إيصال فكري للناس، كما أكتبه أنا، وكان في الحقيقة الأستاذ أحمد محمد محمود -رئيس تحرير جريدة المدينة سابقًا ، يحرص كل الحرص على نشر مقالاتي كاملة، وكان هو يشرف بنفسه على

نشرها، ولكن كان عندما يسافر يعبث أحمد محمد محمود بعض المحررين بمقالاتي، وعندما ترك رئاسة تحرير جريدة المدينة شعر فكري وقلمي باليتم؛ إذ لم يجدا الرعاية الأبوية التي كانا يلقاها من الأستاذ محمود، والحقيقة كانت هذه القضية تؤرقني، و كنتُ قد كتبتُ خاطرة بعنوان "الشبح المميت " قبل مقالة خواطر في الصحافة.

فرحة العيد. أين أنت الآن مني؟

فرحة العيد أين أنتِ الآن مني ؟ [1]

فرحة العيد أين أنتِ الآن مني ؟ ...

إذ كنتِ في زمن الطفولةِ السعيدةِ خير رفيق ...كنتِ تعنين السعادة والحبور ...

والفرحة بارتداء كل جديد ..وبصحبة الوالد ـ رحمه الله ـ إلى المسجد النبوي الشريف لأداء صلاة العيد..

حقاً كانت أياماً جميلة.. وطفولةً سعيدة.. وكانت للعيد فرحة ..

أخذتُ أبحثُ الآن ..عنها في أعماقي..فلم أجد إلاَّ الذكريات

ذكرياتٌ مضت وانقضت أنَّى لها أن تعود ،وقد انتزعت الحروبُ كلَّ بسمة .

.وأخرست القنابلُ كلَّ ضحكة ..

ودهست الدَّباباتُ كلَّ فرحة فشلَّت كل حركة ..

يا فرحة العيد ..لقد أخذتُ أتطلع حولي بحثًا عنكِ فلم أجدكِ .

بحثتُ عنك في عيون أطفالِ ونساءِ الشهداء .

.بحثتُ عنك في مخيماتِ اللاجئين في بشاور ولبنان وغرب تنزانيا والصومال ..وجنوب وغرب السودان

بحثتُ عنكِ في عيون أطفالِ الحجارة ..

في عيون أمهاتِ الضحايا ..

ضحايا الإرهاب والاحتلال في فلسطين وأفغانستان والعراق ..

بحثتُ عنك في عُيونِ كلِّ مسلم ...

,قد أضحى مهدداً بالتفجيرات في كل حين ..

بحثتُ عنك فلم أجد في تلك العيون إلاَّ الدموع ..

[1] . نشرت هذه الخاطرة في ملحق الندوة الأدبي الذي يصدر عن جريدة الندوة التي تصدر في مكة المكرمة ،بتاريخ 7شوَّال 1408هـ الموافق 22 مايو 1988م.

قد تحجَّرت في المآقي . إذ وجد البؤسُ فيها مسكنَه .

.أمَّا القلقُ والخوفُ والرُّعبُ فقد اتخذوا منها موطناً ،

فأين أنتِ الآن مني .. وتلك العيونُ تلاحقني في اليقظة والمنام.

يا عيد متى فرحتي بك تعود؟ ...ولن تعود إلاَّ بزوال كل احتلال ...

وبذر بذورِ المحبةِ والإيمان في كلِّ القلوب .

وقلعِ جُذورِ الكراهيةِ والانقسام من كل الصدور فتمتلئ بالحب القلوب ..

ويلتئمُ عقدُ الصفوف فمتى تكون .. ومتى تعود ..متى..متى؟!

قوليها يا حواء!

قوليها يا حواء

سرنا في طريق صحراوي لنصل إلى مدينة ردنج ، وكانت مدينة آية في الجمال تحيط بها الجبال الخضراء ،وبها بحيرات "شاستا" التي تنعكس على مياهها صور الأشجار والجبال المكسوة بالخضرة ، ولكن كان جوها صحراويًا حارًا ، ونحن نتجول في هذه المدينة الجميلة بين جبالها وبحيراتها تراءت أمامي جبال لبنان ،وأنا لم أر في قط جبال لبنان ، وتجسَّدت أمامي مذابح صبرا وشاتيلا حيث كانت تعيش في وجداني رغم التعتيم الإعلامي عليها في الإعلام الأمريكي ، وكتبتُ خاطرة "بعنوان :"إنَّها كلمة منك يا حواء الإسلام ،فقوليها !

قلتُ فيها :

قالوا لي : إلى أي أرض تنتمين ؟

قلتُ : أنتمي إلى كل أرض أقيمت عليها مئذنة ،وتردد في أجوائها نداء المؤذن.

فإذا بآخر يقول لي : عجباً أليست الجزيرة العربية موطنك ؟

قلتُ : بلى .. الجزيرة العربية موطني ، والسعودية جنسيتي ، وطيبة الطيبة مسقط رأسي ، والتي انطلق منها آبائي وأجدادي ، فانتشروا في كل البقاع والأصقاع رافعين راية الإسلام .

هاهي مياه النيل وبردى والعاصي تروي ظمأهم ، ومياه دجلة والفرات والأردن والرقراق والليطاني قد امتزجت بدمائهم، فآوى ثرى إيران وأفغانستان والمغرب العربي أجساد الشهداء من أشقائي الذين قاوموا الشيوعية والصهيونية والاستعمار ، وحرَّروا البلاد ،فرووا بدمائهم رمال الشطآن في الخليج العربي والمحيط الأطلسي والمحيط الهندي ، والبحرين الأحمر والأبيض المتوسط، وحتى بحري قزوين والأسود ، وآوت ر مال الصحراء الكبرى ، وسيناء والصحراء الغربية ، وصحاري الدهناء والنفوذ والربع الخالي أجساد ممن استشهد لإعلاء كلمة الله ، فموطني كل أرض عربية ، وكل بلد إسلامية.

قالوا : مالنا نلمح الحزن في عينيك ، وقد فارقت البسمة شفتيك؟

قلتُ : أنَّى لي الفرح والابتسام بعدما رأيتُ وأد الإنسان الفلسطيني قبل أن يخلق في الأرحام؟

أنَّى لي الفرح والابتسام ،وأنا أرى ما أراه وأسمع ما أسمعه من تعذيب وتقتيل لبني الإسلام في العراق وإيران؟

أنَّى لي الفرح والابتسام ،وأمة الإسلام قد فقدت قدرة الدفاع عن بني الإسلام؟

قالوا : لمَ تيأسين ؟ لمَ تنظرين إلى الدنيا هذه النظرة ،وكل ما حواليك يدعوك إلى الحياة والتمتع بما فيها من جمال ؟

قلتُ : أي جمال تعنون ،وأية حياة تقصدون ؟ لا يغرَّنكم ما بظاهر هذا الكون ،لا تفتننكم زرقة السماء ،وضوء القمر ،وتفتح الأزهار ،واخضرار الأشجار ،ورقصات المياه ،وتمايل الأغصان،وشموخ الجبال وشدو البلابل والأطيار ،فكل ما في الكون حزين ،داخله حزين ،وإن كان يُظهر لكم خلاف ما يبطنه ،ولكن إن تأملتم في أعماقه ستجدون الحزن مزَّقه ،والألم اعتصره ،وافتقد جوهر جماله.

لقد أدركت هذا أثناء تجولي في جبل حباه الله أجمل ما في الطبيعة من جمال[1] ، جبال ووديان خضراء تتخللها بحيرات من أجمل البحيرات التي تحيط بها الخضرة من كل الجوانب ،تاركة انعكاساتها على مياه البحيرات ،أحسستُ وقتها بأنَّ هذا الجبل حزين ،وكأنَّي به يشارك جبل لبنان حزنه ،فإذا بخضرته تلك ،وقد تحولت في نظري إلى سواد ورماد ،والنَّاس الذين يركبون القوارب ،ويجدِّفون في بحيراته بدوا أمامي جثثاً للنساء والشيوخ والأطفال الذين سقطوا في مخيمات صبرا وشاتيلا ،ضحكاتهم وصلت إلى أذني بكاء وصراخ من قدِّرت لهم الحياة في مخيمات الموت.

لستُ أدري كيف تراءت لي صورة جبال لبنان آنذاك وأحداث صبرا وشاتيلا ،وأنا لم أر في حياتي جبال لبنان ،ولكن رأيتها بعقلي وقلبي ،وكل حواسي ،وأنا أطوف بذاك الجبل الجميل في مظهره الحزين في عمقه.

لذا قلتُ لكم إنَّ كلَّ ما في هذا الكون قد بات حزيناً مثلي ،فهو يرى ما أرى ،ويسمع ما أسمع ،ويحس ما أحس ،مادام الإنسان فقد حواس السمع والبصر والإحساس.

أيتها السماء مالنا نراك ملبدة بالغيوم والسحب ،فقد تحوَّلت زرقتك إلى سواد وصفاؤك إلى ضباب ،فأين هي زرقتك التي فتحنا أعيننا عليها؟ وأين هو صفاؤك الذي طالما تغنينا بنقائه؟

وأنت أيتها الأرض الطيبة المعطاءة مالنا نراك قد أجدبت فتوقفت عن العطاء؟

ويا شمس أين هو دفؤك الذي كان ينبعث مع كل شعاع من أشعتك فنشعر بالأمان؟

لماذا تحول هذا الدفء إلى نار محرقة تلتهم أجسادنا ،وتحرق قلوبنا على أعزاء لنا؟؟

يا قمر أين جمالك؟

[1] - جبال بحيرات "شاستا" الواقعة في مدينة " ردنج " في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

يا بدر أين اكتمالك؟

يا نجم أين بريقك؟

لم نعد نراكم .. فقد احتجبت عنا أضواؤكم ،فلماذا احتجبت ،وهي صديق الشاعر وملهمته ،ونديم السامر ومؤنسته ،ودليل المسافر ومرافقته؟

يا شجر أين هي أوراقك ؟

أين هي خضرتك؟

أين هو ربيعك؟

لماذا تعيش في خريف دائم؟

وأنتِ يا جبال أين شُموخك ؟

أين هو كبرياؤك الذي كان مضرب الأمثال؟

ويا بحر [1]، لماذا افتقدت الحياة ، فكل ما فيك فارقته الحياة ،بل أضحت قطراتك تحمل الموت لكل من يشربها؟

ويا نهر[2] يا أجمل أنهار الدنيا ، يا ساحر العيون ،مالنا نراك غاضباً هائجًا؟

وأجابت السماء ،وقالت : أنَّى لي صفاء ،وقد أضحت الأجواء العربية ملبدة بالحقد والكراهية؟

وقالت الأرض أنَّى لي العطاء والأمهات مثلي لم ينجبن رجالاً كما كنَّ ؛ إذ قتلوا في رجال اليوم روح الجهاد وخدروهم بأسطورة تدعى السلام مع من لا يعرفون معنى السلام[3]،مع من أباحوا لأنفسهم أموال وممتلكات وأرواح من لا يدينون بدينهم ؟

فهاهم يحشدون الحشود للاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية رغم امتداد أيادي السلام إليهم.

---

[1] - المقصود : الخليج العربي بعد تلوث مياهه ببقع الزيت الإيراني.

[2] - المقصود نهر النيل ومشروع مناحيم بيجن لتحويل مياهه إلى صحراء النقب ،وهو إحياء لمشروع تيودور هرتزل سنة 1903م ،ومشروع بيجن سنة 1980م .

[3] - المقصود: اتفاقية كامب ديفيد.

وأجابت الشمس : تسألونني عن دفء أشعتي ،وكيف تحول إلى نيران محرقة ،وقد افتقدتم فيها الأمان ،فأنَّى يكون الأمان في دفء أشعتي بعدما افتقد الدفء والأمان في بيوت الله بعد انتهاك حرمات الله من قبل أعداء الله مشعلين فيها النيران ،فحوَّلوا دفئها إلى نار محرقة؟

وأجاب البدر والفجر والنجم : لقد احتجبتُ أضواؤنا ،وغابت عن الأنظار لأنَّ الإنسان قد اختار الطريق الموحشة المظلمة ،واستغنى عن الاهتداء بأضوائنا فأخطأ الرفيق ،وضلَّ الطريق.

أمَّا الجبال فقالت : كل شيء انهار وتساقط أمام انهيار عزة المسلم ،تفريطه في كرامته وكبريائه فأنَّى لي شموخ وكبرياء ،وابن الإسلام تخلى عن ذاك الشموخ ،وهذا الكبرياء؟

وقال البحر: هذا ما أراده الإنسان لأخيه الإنسان لم يكفه قتله في البر فلوَّث مياهي ،وبذر بذور الموت فيها لتميت كل من يمتد إليه عطائي.

وقال الشجر : كيف لا تتساقط أوراقي والقتلى من الشيوخ والأطفال يتساقطون في فلسطين ولبنان وأفغانستان؟

وكيف أحافظ على خضرتي والخضرة في لبنان قد تحوَّلت إلى سواد ورماد؟

وكيف أشعر بالربيع ،,صفرة الخريف تلازم لبنان أكثر من ثمانية أعوام ؟؟

وقال النهر : كيف لا أغضب وأعداء الله يريدون الاستيلاء على مياهي بتحويلها إليهم ،وهاهم يحيون ما خطَّطوا له قبل ثمانين عاماً [1]،إنَّني في خطر ،وهبتي مصر في خطأ أيضاً.

قلتُ : وبعد أما من خلاص؟

فأجابني كل ما في الكون : بلى .

قلتُ أين هو ؟ فأنا مثلكنَّ أتمزَّق ألماً وأعتصر حزناً.

قلن لي الخلاص في يدي حواء.

قلتُ: كيف؟

قلن لي : حواء هي منبع الخير كما هي منبع الشر هي أس الصلاح ،كما هي أس البلاء ،هي مصدر البناء كما هي مصدر الهدم.

[1] - هي الفترة ما بين مشروع هرتزل لتحويل النيل سنة 1903م إلى مشروع بيجن سنة 1980/

قلت: ألا تفسرن لي هذا القول؟

قلن : قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام كانت البسوس إحدى بنات حواء سبباً في إشعال حرب ضروس بين الإخوة الأشقاء ،وقبل أكثر من ثمانمائة عام كانت إحدى بنات حواء الإسلام في زبطرة سبباً في دك حصون الروم في عمورية بنداء أطلقته (وامعتصماه) ،هذا النداء الذي تردد صداه في الأجواء ،فوصل إلى مسامع الخليفة المعتصم الذي سرعان ما لبى النداء رغم أنَّ المؤامرات والفتن كانت تحاك ضده من كل جانب ،ومن أقرب الناس إليه (ابن أخيه) ،إلى جانب الفرس.

وأمَّا أنتن يا بنات حواء هذا القرن ما نراكن إلاَّ لا هيات عابثات سافرات متبرجات ،كل همَّكن فتنة الرجال فانصرفوا عن القتال ،ومالوا إلى الترف والانغماس في الشهوات ،وكنتن أكثر النَّاس مهلات لأسطورة لسلام ،وحتى قتلتنَّ في أبنائكنَّ وأزواجكن وأخوانكن روح الجهاد في سبيل الله.

لم تجرؤ واحدة منكن بجعل مهرها تحرير فلسطين ..تخليص المسجد الأقصى ،كما تجرأت حواء القرن الهجري الأول عندما جعلت فتح دمشق مهراً لها ،ترى لو تجمعتن يا فتيات الإسلام على قول واحد فجعلتن مهوركن تخليص المسجد الأقصى ،وتحرير فلسطين ألا تحدث معجزة ،وتتحرر الأرض المغتصبة ،ويتحرر معها الإنسان من قيود الذل والعبودية؟

تخلين عن الذهب والحرير ،تخلين عن القصور والخدم ،والسيارات الفارهة ،تخلين عن متع الدنيا الزائلة .

إنَّها كلمة منك يا حواء فقوليها ،قولي بأعلى صوتك : مهر ي تحرير أراضي الإسلام من كل طغيان من فلسطين ولبنان إلى أفغانستان.

عندها سيعود إلى السماء صفاؤها ،وإلى الشمس دفؤها ،وإلى الأرض عطاؤها ،وغلى القمر جماله ،وإلى البدر كماله ،وإلى البحر حياته ،وإلى النهر اطمئنانه ،وستشدو البلابل والطيار أغاني البطولة والانتصار مخلدة ذكرى حفيدات نُسيبة وسمية وخولة والخنساء.

إنَّ ما تعرض له أخواننا الفلسطينيون في صبرا وشاتيلا من مذابح كان يعيش في وجداني ،فأينما أذهب فهم معي في فكري وقلبي ووجداني ،وصدقوني لم استمتع بتلك الرحلة ،لأنَّ المنظر الذي تراءى أمامي ساعتها هو منظر المذابح ،وليس بحيرات "شاستا" وجبال ردنج.

ماظنشت شاعرا

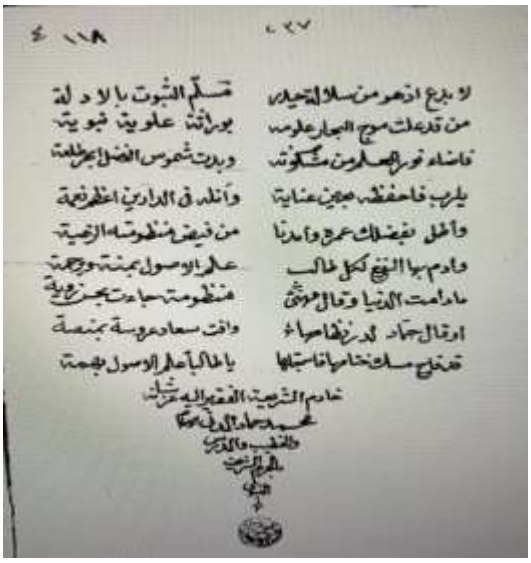

لا بدع ان هو من سلالة حيدر ... مسلم الثبوت بالادلة
من قد علت موج البحار علومه ... بوراثة علوية نبوية
فاضاء نور العلم من مشكوته ... وبدت شموس الفضل غير ظليمة
يارب فاحفظه بعين عناية ... وانله فى الدارين اعظم نعمة
وامنن بفضلك عمره وامدنا ... من فيض منظومته الزكية
وادم بها النفع لكل طالب ... علم الوصول بمنة ورحمة
مادامت الدنيا وقال موشح ... منظومة حازت بحسن رونق
اوقال حماد لدر نظامها ... وافت سعاد عروسة بمنصة
تهنى بسلك نظامها فاستبقها ... يا طالبا علم الوصول بهمة

خادم الشريعة الفقير اليه عز وجل
محمد حامد الدين عفا
والديه
الجامع الزهر
الشيخ

ما ظننتُك شاعرًا[1]

ما ظننتُك شاعرًا

حسبتُ أنّ الأرقام والحسابات كانت عليك الطاغية

حجّبَتَ عنْك موهبةَ النّظْمِ

التي طغتْ على قرائح أجدادِك فكانت من مأثِرِهم باقية

زخرت كُتبُ الشِّعرِ والأدبِ بلآلئِ شِعرِهِم

وظّلتْ فيها قصائدَهم بَاقِية

تتناقلها الأجيالُ تلَو الأجيال

ولكن من أحفادهم بأشعارهم جاهلة

فجدّك حمّاد بن عبد الحفيظ الذي ضاع وقْفَه كان شاعرا

في شعر الألغاز كان هو بارعا

اللآلئُ الثمينةُ تتلألأت فيها درر موشحات جدك

محمد سعيد وتخاميسه وأخوانياتُه الصادقة

وابنه محمد صالح وُصفت كلماتُه

في اللآلئ الثمينة بالرائقة التي هي بالحسن للقلوب شائقة

وأخوُه أبو الحسن وُصِفَ كلامُه في تحفةِ الّدهرِ بالكلام الحر الرقيق كالدرر والعقيقِ

أمّا جدك محمد محمد صالح فوُصف بعلَّامةِ المدينةِ وشاعر بلد العقيقِ

وأخوه جدُّك أبو بكر شهد بشاعريتِه خطبة جُمعية بقافيةٍ واحدة

[1] . مُهداة إلى ابني العزيز مازن محمد إحسان مصطفى أبو بكر حمّاد

ومرثيتُه لابنتِه رقيه تشهدُ بشاعريتِه الوَاقِدة

وستجدُ المزيد والمزيد عن شِعر آل حمّاد

في كتابِ المدينةِ المنورة وقصة آل حمّاد

فأنتَ سليلُ الشُّعراءِ فكيف لا تكون شاعرا

فنحنُ آل حمّاد وُلدنا وحبالُ جيناتِنا

تسري فيها قرائحُ الشِّعرِ الواحدة تلو الواحدة

أمك وعمتك كما تناديني/ سهيلة زين العابدين محمد (شاعر) محمد صالح إبراهيم محمد صالح (شاعر) محمد سعيد (شاعر)عبد الحفيظ حمّاد

حرر في الرياض19 شعبان عام 1442هـ الموافق 1إبريل عام 2021م